النهار

معرض شوقي شمعون لدى "غاليري مارك هاشم"
سينوغرافيات التأليف البصري كخيولٍ بريةٍ في سهول اللوحة

معرض جديد لشوقي شمعون لدى "غاليري مارك هاشم" من 1 شباط إلى 22 منه. يبدو أن الفنان لا يهدأ، إذ لم يمض وقت طويل على معرضه السابق، في وقت أن بعض التشكيليين لا نرى جديد نتاجهم إلاّ بعد فترات زمنيّة مديدة تفصل ما بين معرض وآخر. إذا كان من دلالة وراء ذلك، فهي أن الفنان يجد الوحي والإرادة والتصميم على صناعة أعمال تشكيلية في زمن ينتشر فيه، إلى حد ما، نوع من الإحباط الذي يطاول جملة من العاملين في مجالات الثقافة والفن، نتيجة ما "يفرّخه" الوضع الحالي من مشكلات وتعقيدات لا تنتهي، وترمي بنا، أحياناً، في متاهات اليأس.

محمد شرف

يبدو أن الظروف القصوى على المستوى العام لا الشخصي، لا تكون ذات مفعول سلبي دائماً. لا نعلم شيئاً كثيراً عن الظروف التي صُنعت خلالها الأعمال المعروضة أمامنا، لكننا واثقون أنها تحمل قدراً كافياً من المعاني التي يمكن إدراجها ضمن الإتجاه الهادف لتصوير واقع معيش، ولو بحسب رؤية ذاتية، هذا إذا ما صدق حدسنا، وقدّر لنا أن نسير بلا خطأ كبير وفانتازيا شخصيّة في درب التأويل. بعض الأعمال التي يتضمّنها المعرض ذات علاقة أكيدة بما أنتجه شمعون سالفاً. بيد أن الموضوعات، وإن جرت العودة إليها، قابلة دائماً لمعالجة إضافية مكمّلة لما تمت صناعته قبلاً. كأن الأفكار السابقة لا تزال تتمتع بالذخر النظري الذي يسمح باستنباط أشكال جديدة لا تقطع مع الماضي، لكنها، في الوقت نفسه، تعمل على تطوير الرؤى، ضمن منحى يبدو أكثر حدة، ويعتمد تقنيات مختلفة، إلى هذه الدرجة أو تلك.

القامة البشرية لا تزال حاضرة في أعمال شمعون، ولو شئنا أن نكون أكثر دقة لوجب أن نقول القامات. ليس هناك من قامة منفردة تشغل حيزاً واسعاً في العمل، وهذا الحيز لا تشغله، أيضاً، القامات العديدة المنتشرة جنباً إلى جنب في قعر اللوحة إلى حدّ التلاصق في ما بينها تارة، أو المنفصلة في جماعات تارة أخرى، كما لا يبدو أنها تمارس فعلاً في عينه. علماً أن هذا الفعل، في حال حضوره، يبقى مبهماً، إذا لا يرتدي الفعل، هنا، أهمية طاغية بقدر الأهمية التي يرتديها الحضور نفسه. على أن الإنتشار البشري، لا يصبح مستقلاً إلاّ في بعض الأعمال التي تغيب فيها الخلفيّة، وفي هذه الحال يشكّل البشر خطوطاً أفقية تتكرر في العمل الواحد. يتقصّد الفنان هنا أن تأتي بعض تلك الخطوط مونوكرومية الطابع من الناحية اللونيّة، وذلك في شكل متساوٍ، من حيث التكرار مع المستطيلات الأخرى الممتلئة بشراً التي أخذت من اللون أطيافاً محددة، وربما متكررة أيضاً. أما من حيث الرسم، فقد جاء مختصراً: لمسة واحدة من شأنها أن ترسم القامة بمهارة من دون إعادة النظر في تفاصيلها. ويعتمد ذلك كلّه على الخبرة الغرافيكية لدى الفنان، التي سبق ولمسنا مفاعيلها في أكثر من موقع، أكان في المعرض الحالي أم في معارض سابقة.

إذا كانت القامات البشريّة لا تشغل حيزاً بارزاً، أقلّه من حيث موقعها المادي - التشكيلي في العمل، فإن الخلفية التي احتلّت المكانة الأساس جاءت، هذه المرّة، أكثر تعقيداً مما كانت عليه في أعمال رأيناها قبلاً. لا شك لدينا في أن هذه الخلفية تشكّل إحدى نقاط الثقل الرئيسية في العمل، هذا مع العلم إنها لا تستوفي دائماً شروط الخلفيّة المنصوص عليها بحسب التقاليد الفنية الكلاسيكية، حين تصبح، أي الخلفية، عاملاً محايداً ليس من شأنه أن يعكّر أهمية المتن. هذه المساحة في لوحة شمعون تشغل أحياناً تسعة أعشار القماشة، إذا ما شئنا أن نلجأ إلى لغة الحساب، وقد دخلت في تكوينها تقنيات مختلفة، أكان من حيث المادة اللونيّة، أم من حيث إستعمال مواد أخرى، وهي، في الحالات كلّها، ذات منحى تجريدي، وإن تراءت لنا هنا أو هناك ستائر من نوع خاص، أو تشابكات غرافيكية، أو مجرّد مزيج لوني.

هذا النمط التأليفي قد يفضي بنا إلى ما يشبه الصور السينوغرافية ذات العلاقة الوثيقة بشرائط الخيال العلمي، حيث تخرج النسب عن نطاق المألوف. لكن هذا العالم الذي يرسمه شوقي شمعون يمثّل، كما نعتقد، ضرباً من ضروب واقع ضاغط أو عالم فسيح يصبح الكائن البشري فيه مينيمالياً، كما هي حال عالمنا الصغير في هذا الكون الهائل الذي لا حدود له.